رغم التحديات.. المدارس الإسلامية في هولندا على قائمة التميّز

الجمعة 25 أغسطس 2023 04:19 م

انتشرت عشرات المدارس الإسلامية في هولندا منذ عدة عقود، وحقق بعضها تميزًا وحضورًا وتجاوبًا مع البيئة الهولندية، ونال بعضها مراكز متقدمة في التصنيف السنوي الذي تُجريه هيئة التعليم في البلاد للمدارس الابتدائية، رغم التحديات التي تواجهها على صعيد العمل.

وأفادت مصادر محلية، بأن عدد المدارس الإسلامية وصل إلى 62 مدرسة، موزعة على 12 مقاطعة في البلد الصغير جغرافيًا، والذي لا تتعدى مساحته قرابة 42 ألف كيلومتر مربع.

وفي 19 يونيو الماضي، جاءت مدرستان إسلاميتان في قائمة أفضل 42 مدرسة على مستوى هولندا، وفق تصنيف تجريه هيئة التعليم، ونشرته وكالة الأنباء الهولندية الرسمية.

وحلت مدرستا "النور" في مدينة ألفن آن دن راين (غرب)، ومدرسة "القلم" في مدينة خاودا (غرب) في قائمة التميز التعليمية في البلاد.

وتختص المدارس الإسلامية في هولندا بتدريس منهج المرحلة الابتدائية فقط، ويكون مزيج من المنهج التعليمي الهولندي لكن تضيف عليه علم الأخلاق المستمد من الدين الإسلامي، ومبادئ اللغة العربية دون التوسع بتدريسها.

وتهتم هذه المدارس بتقديم المنهج الهولندي بحذافيره، فهي تتبع مباشرة لهيئة التعليم الهولندية، ويطبق عليها القوانين التي تسري على سائر المدارس الهولندية في البلاد.

ولم يتم بعد افتتاح أي مدرسة إسلامية للمرحلة الإعدادية، إلا أنها خطوة مستقبلية يسعى إليها القائمون على هذه المدارس.

التوزيع الجغرافي وماهية المنهج

نظرًا لصغر مساحة هولندا جغرافيًا، فإن توزيع المدارس الإسلامية في البلاد، يتيح لغالبية قاطنيها من المسلمين تسجيل أبنائهم، لقصر المسافات إلا في بعض الأحيان.

وتتكفل بعض مجالس المدن بتعويض نسبة من تكاليف المواصلات للعائلات ذات الدخل المحدود، في حين يتعين على الأهالي في حالات أخرى دفع كامل التكاليف.

وتعود أصول غالبية التلاميذ المسجلين في المدارس الإسلامية في هولندا إلى نحو 20 جنسية، تتصدرها الجنسيتان التركية والمغربية، وهما الجاليتان المسلمتان الأقدم في هولندا والأكثر عددا.

كما تضم هذه المدارس طلابا من جنسيات أخرى بينها العربية، والإفريقية، والفارسية.

القانون والرقابة

تلتزم المدارس الإسلامية في هولندا بقوانين التعليم، أولها أن الهولندية هي لغتها الرسمية، كما تغلق أبوابها في كافة المناسبات والعطلات الرسمية الهولندية، إضافة إلى منح عطلات في العيدين الفطر والأضحى.

وتعرضت لجملة من حملات النقد والكراهية من قبل الأحزاب المتطرفة في هولندا، التي دعت في أكثر من مناسبة إلى إغلاقها، وعدم منح تراخيص لافتتاح مدارس جديدة مماثلة.

بيد أن امتثال الكوادر التعليمية والإدارية العاملة فيها للقانون والتعليمات الرسمية من الدولة، أفشل كل تلك المساعي.

التحديات والهواجس

وحول التحديات التي تواجه المدارس الإسلامية في هولندا، أكد عبدالكريم الصالحي، مدير مجموعة مدارس "الأمانة" الإسلامية (عددها 12 مدرسة)، أن التحدي الأبرز للمدارس الإسلامية "يظهر من داخل المجتمع الإسلامي نفسه، إذ يفتقر بعض مسلمي هولندا إلى النظرة العميقة للمعلومات المتعلقة بالمدارس الإسلامية".

وقال: "تكاد تكون معلوماتهم حول المدارس الإسلامية شحيحة للغاية، ولذلك نعاني من فجوة فاصلة بين الطرفين".

واعتبر الصالحي، أن عزوف بعض المسلمين عن إلحاق أبنائهم بالمدارس الإسلامية "يعود لقلة التواصل بين الجانبين"، وفقًا لـ"الأناضول".

أما فيما يتعلق بالتحدي الثاني الذي تواجه هذه المدارس، أشار الصالحي إلى "خطاب الكراهية الذي تتبناه الأحزاب العنصرية"، لا سيما حزب "من أجل الحرية" الذي يتزعمه اليميني المتطرف خيرت فيلدرز.

وأضاف: "يعتبر أصحاب هذا الفكر (اليميني) أن المدارس الإسلامية لا تتماشى مع الثقافة الهولندية، وأنها غريبة عن عادات المجتمع الهولندي، لذلك يطالبون بإغلاقها".

بيد أن التزام المدارس الإسلامية والعاملين فيها بالقوانين الهولندية باعتبارها تسري على الجميع، هو ما أفشل جميع هذه المحاولات.

وتابع: "المدارس الإسلامية ملتزمة بالقانون، وتعمل تحت سقف الأنظمة والقوانين الهولندية".

وفي السياق، تحدث الصالحي عن تحدي ثالث يقف عقبة أمام منهجية المدارس الإسلامية، وهو "الحرية المطلقة التي تطالب السلطات الهولندية بمنحها للتلاميذ، وعدم إجبارهم على اعتناق أي ديانة".

وأردف: "نحن مطالبون من قبل هيئة التعليم الهولندية بعدم التدخل في حرية المعتقد والثقافة لدى التلاميذ، وهذا الأمر يتطلب منا احترام القانون في البلد الذي نعيش فيه".

وتمنع السلطات الهولندية جميع أولياء الأمور، سواء كانوا مسلمين أو غير ذلك، من إجبار أبنائهم على اعتناق ديانة بعينها، أو تبني ثقافة محددة، وتعاقب كل من يخالف هذا القانون بعقوبات متفاوتة تصل أحيانًا إلى سحب الوصاية عن الأطفال في حال وجود أدلة تثبت إرغام الأطفال (ذكورًا وإناثًا) على اعتناق أي فكر ديني أو ثقافي.

تدريس العربية بالمدارس الإعدادية

وحول الرؤية المستقبلية لهذه المدارس، أفاد الصالحي بوجود مساع حقيقية لافتتاح أول مدرسة إسلامية في هولندا للمرحلة الإعدادية، في مدينة أوترخت، قرب العاصمة أمستردام.

ورأى أن تلك الخطوة ستفيد في تعليم الطلاب اللغة العربية، حيث إن السلطات الهولندية تمنع تدريس اللغة العربية بالمدارس الابتدائية بشكل موسع، و"بالتالي سوف تكون هذه المدرسة - حال إنشائها - معنية بتدريس العربية لتلاميذ الجاليات المسلمة في هولندا".

أسباب تسجيل الأبناء في تلك المدارس

يشعر أولياء الأمور بارتياح حقيقي، إزاء التحاق أبنائهم بالمدارس الإسلامية في هولندا، ويعتبرونها "فرصة ثمينة لتعليم أبنائهم مبادئ الدين الإسلامي".

ووفقًا لشهود عيان، لا يُمانع بعضهم بتكبد الجهد الناتج عن إلحاق أبنائهم بهذه المدارس، حتى لو تكبدوا مشقة المسافات الفاصلة بين موقع المدرسة ومكان سكنهم.

وقال عدنان الكيلاني، ولي أمر أحد التلاميذ في مدرسة "الحبيب" الإسلامية بمدينة ماسترخت (جنوب)، إن الأهالي "بدأت تجني ثمار إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس، وهناك حالة ارتياح واضحة".

وأشار الكيلاني إلى النتائج المرضية التي حصلوا عليها، أبرزها إتقان الأبناء لمبادئ اللغة العربية وأخلاق الدين الإسلامي، معتبرا ذلك "إنجازا كبيرا"، وفقًا لـ"الأناضول".

وأضاف: "التلاميذ أصبحوا على دراية كبيرة بمبادئ الإسلام، وعلم الأخلاق، والمناسبات الإسلامية، بالإضافة إلى اندماجهم في المجتمع الهولندي الذي يعيشون فيه".

وعن أهم الأسباب التي دفعت الأهالي لتسجيل أبنائهم في تلك المدارس، أكد الكيلاني أنها تتلخص في:

- أن هذه المدارس نالت مراتب متميزة في التعليم والأداء على مستوى هولندا
- تقوم هذه المدارس بتدريس المنهج الهولندي، بطريقة احترافية متميزة
- شكلت منهجية المدارس الإسلامية في هولندا حافزا مهما للأهالي، وأدركوا قيمتها عندما بدأوا يشاهدون أبناءهم وهم مهتمون بالتقاليد الهولندية والعربية على حد سواء